وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية

المحاضرة السابعة

السلطان سليم الاول

(١٥١٢-١٥٢٠م)

اعداد

م.د.أسامة عبد الخالق عايد

للعام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

خادم الحرمين الشريفين الملكُ الناصر والسُّلطان الغازي القاهر ظهيرُ الدين والدنيا ياووز سَلِيم خان بن بايَزِيد بن مُحمَّد العُثماني (بالتُركيَّة العُثمانيَّة: الملكُ الناصر غازى ياووز سُلطان سليم خان اوَّل بن بايزيد بن مُحمَّد عُثمانى)، ويُعرف اختصارًا باسم سَلِيم الأوَّل أو سَلِيم شاه، وبِلقبه ياووز سَلِيم أي سَلِيم القاطِع، هو تاسع سلاطين آل عُثمان وسابع من تلقَّب بلقب سُلطانٍ بينهم بعد والده بايزيد الثاني وأجداده من مُحمَّد الفاتح إلى مُرادٍ الأوَّل، وثالث من حمل لقب «قيصر الروم» من الحُكَّام المُسلمين عُمومًا والسلاطين العُثمانيين خُصوصًا بعد والده بايزيد وجدِّه الفاتح، وأوَّل خليفة لِلمُسلمين من بني عُثمان، والرابع والسبعين في ترتيب الخُلفاء عُمومًا. والدته هي عائشة گُلبهار خاتون، وكان مولده سنة ٨٧٥هـ المُوافقة لِسنة ١٤٧٠م، وهو أصغر أولاد السُلطان بايزيد الثاني الذين كُتبت لهم الحياة، وبهذا لم يكن في بادئ أمره وليَّ عهد أبيه، بل كان هذا اللقب من نصيب أخيه الأكبر عبد الله، ثُمَّ أحمد بعد وفاة الأخير.

آل المُلك إلى هذا السُلطان بعد اضطراباتٍ عصفت بِالدولة العُثمانيَّة أواخر عهد والده بايزيد نتيجة صراع أبناءه، بما فيهم سليم، على العرش. وكانت الغلبة في نهاية الأمر لِلأخير نتيجة دعم الإنكشاريَّة له، فتنحَّى والده وترك له تدبير شُؤون البلاد والعباد. استطاع سليم تصفية أخويه وأكثر أبنائهم خِلال السنة الأولى من حُكمه بعد أن استشعر منهم الخيانة والغدر، ثُمَّ حوَّل أنظاره شرقًا لِحرب الصفويين الذين كانوا يُغالون في تشيُّعهم ويضطهدون أهل السُنَّة والجماعة في بلاد إيران والعراق. والَّلافت أنَّ استراتيجيَّة العُثمانيين انقلبت في عهد هذا السُلطان، إذ توقَّفت موجة الفُتُوحات بِاتجاه الغرب وتحوَّل الزَّحف ناحية الشرق الإسلامي لِأسبابٍ عديدة، منها ما هو مذهبي ومنها ما هو اقتصادي وسياسي وثقافي، فجدَّد السُلطان المُعاهدات العُثمانيَّة السابقة مع الدُول الأوروبيَّة ثُمَّ سار لِقتال الصفويين وانتصر عليهم انتصارًا باهرًا بِفضل الأسلحة المُتطوِّرة التي تزوَّد بها جيشه، ولِكفاءة طوائف الجُند العُثمانيَّة وبالأخص طائفة الإنكشاريَّة. بعد ذلك حارب السُلطان سليم المماليك وتمكَّن من الانتصار عليهم وإخراجهم من الشَّام، التي رحَّبت بلادها بمِجيء العُثمانيين وفتحت لهم أبوابها، فدخلوها سلمًا دون قتال، وبقيت الديار الشَّاميَّة جُزءًا من الدولة العُثمانيَّة إلى سنة ١٩١٨م، أي لِأربعة قُرُونٍ مُتتالية. وتتبع السُلطان سليم المماليك حتَّى مصر وأنزل بهم ضربةً قاضية، فدانت لهُ الديار المصريَّة ودخلت تحت جناح الدولة العُثمانيَّة.

وفيما كان السُلطان سليم في القاهرة قدَّم إليه شريف مكَّة مفاتيح الحرمين الشريفين كرمزٍ لِخُضُوعه وكاعترافٍ بِالسيادة العُثمانيَّة على الأراضي الحجازيَّة، وكانت هذه السيادة لِسلاطين المماليك من قبل. وهكذا أصبح الحجاز جُزءًا من الدولة العُثمانيَّة من غير حربٍ أو قتال. وكان آخر الخُلفاء العبَّاسيين مُحمَّد بن يعقوب المُتوكِّل على الله يُقيم بِالقاهرة في ظل المماليك، فاصطحبهُ معهُ السُلطان سليم إلى إسلامبول حيثُ تنازل لهُ عن الخلافة. وهُناك من المؤرخين من يُشكك بِصحَّة هذه الرواية، على أنَّهم يعتبرون أنَّ سليمًا كان قد أُعلن خليفةً لِلمُسلمين فعلًا ولكن قبل ضمِّه مصر، وتحديدًا في أوَّل خطبة جُمُعة حضرها في الشَّام، وتسلَّم بِوصفه هذا مفاتيح الحرمين

الشريفين من شريف مكَّة ما أن أتمَّ سيطرته على البلاد المصريَّة. نتيجة انتزاعه العديد من البلاد من الصفويين واستيعاب الدولة المملوكيَّة بأكملها في الدولة العُثمانيَّة، اتسعت الأخيرة اتساعًا عظيمًا، فوصلت مساحتها إلى ١,٤٩٤,٠٠٠ كلم٢ عشيَّة وفاة السُلطان سليم، أي أنها تضاعفت بِنسبة ٧٠% عمَّا كانت عليه قبل الحملتين على إيران والشَّام ومصر.كان السُلطان سليم مُتدينًا مُتمسكًا بِالعقيدة والشعيرة السُنيَّة، وتذكر بعض المصادر أنَّهُ كان مُتصوفًا يتبع الطريقة المولويَّة. وكان يُتقن اللُغات التُركيَّة والفارسيَّة والعربيَّة والروميَّة والتتريَّة، كما كان شاعرًا يُجيد النظم بِاللُغات الثلاثة الأولى، وأحبَّ الآداب والموسيقى، فكانت مجالسه حافلة بِالشُعراء والأُدباء والعُلماء والفُقهاء والفنَّانين. وتنص المصادر أنَّهُ كان يكره البذخ والإسراف ويميلُ إلى البساطة في مأكله وملبسه وزينته. وهو أوَّل من حلق لحيته وأطلق شاربيه من آل عُثمان. ومن أهم المآخذ على هذا السُلطان أنَّهُ كان بطَّاشًا ميَّالًا لِسفك الدماء أكثر من ميله لِلحُلُول السلميَّة، فقتل سبعة من وُزرائه لِأسبابٍ واهية، وكان كُلُّ وزيرٍ مُهدَّد بِالقتل لِأقل هفوة تدفع السُلطان لِلشك بِأمره، على أنَّ هذا كان مقصورًا على رجاله وحاشيته وأتباعه، أمَّا الرعيَّة فكان يتحرَّى العدل فيها. وصفهُ المُؤرِّخ أحمد بن يُوسُف القرماني بِقوله: «وَكَانَ رحمه الله عَالِمًا فَاضِلًا ذَكِيًّا حَسَنَ الطَّبْعِ بَعِيدَ الْغَوْرِ، صَاحِبَ رَأْيٍ وَتَدْبِيرٍ وَحَزْمٍ، وَكَانَ يُعْرَفُ الْأَلْسِنَةَ الثَّلَاثَةَ: الْعَرَبِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ وَالْفَارِسِيَّةَ وَيَنْظُمُ نَظْمًا بَارِعًا حَسَنًا، وَكَانَ دَائِمَ الْفِكْرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَالْمَمْلَكَةِ». كما وصفه المُؤرِّخ شمس الدين مُحمَّد بن أبي السُرُور البكري المصري بِقوله: «وَكَان سُلْطَانًا قَهَّارًا ذَا هَيْبَةٍ وَشَهَامَةٍ مُتَكَاثِرَة، كَثِير التَّفَحُّص عَنْ أَخْبَارِ النَّاسِ، وَكَانَ فِي التَّجَسُّسِ لَهُ الْغَايَةُ، وَلَهُ الْجَوَاسِيس لِنَقْل الْأَخْبَار، وَمَهْمَا نَقَلُوه فَعَل بِمُقْتَضَاه. وَكَانَ كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ لِلتَوَارِيخِ، جَمْعَ مِنْهَا جُمْلَةً كَبِيرَة بِالتُّرْكِيَّة وَالْعَرَبِيَّة وَغَيْرِهَا. وَكَانَ حَسَنَ النُظْمِ بِالتُّرْكِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ».

حياته قبل السلطنة

ولادته ونشأته

وُلد سليم الأوَّل على القول الأصح سنة ٨٧٥هـ المُوافقة لِسنة ١٤٧٠م،

وقيل في سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧ - ١٤٦٨م)، في مدينة أماسية بِالأناضول، خلال ولاية أبيه بايزيد على سُنجق تلك الناحية. تتفق مُعظم المصادر على أنَّ والدته هي عائشة گُلبهار خاتون ابنة أمير ذي القدر علاء الدولة بوزقورد بك، ويقول بعض الباحثين أنَّ والدة هذا السُلطان هي امرأة تُدعى «گُلبهار» حصرًا، دون ذكرٍ لِنسبها وما إذا كانت ابنة أحد الأُمراء المُسلمين في الأناضول، ويقول آخرون أنَّها دُعيت «عائشة خاتون» فحسب، ويُؤيدون كونها ابنة علاء الدولة بوزقورد بك. اختُتن سليم على يد جدِّه السُلطان مُحمَّد الفاتح، وبحسب رواية المُؤرِّخ أحمد بن يُوسُف القرماني فإنَّ السُلطان الفاتح طلب من ولده بايزيد بِأن يبعث إليه بِإبنيه أحمد وسليم لِيختتنهما بِنفسه، فلمَّا قدما إليه أجلسهما بِجانبه على تخت المُلك وأخذ يُلاعبهما ويُمازحهما، فشدَّ أُذُن سليم إليه فبكى الأخير، فأمر السُلطان بِإحضار طرائف التُحف من الخزينة لِيُرضيهما، فرضي أحمد وقام وقبَّل يد جدِّه، وأبى سليم أن يرضى رُغم مُحاولات السُلطان بإسعاده، فقال

لـه: «يَـا وَلَـدِي نَصْـطَلِحُ مَعَـك»، فـردَّ عليـه سـليم: «والله مَـا اصْـطَلَحَ مَعَـك، إِنَّ لِـي عَلَيْـكَ حَقًّـا أُبْقِيْـهِ إِلَـى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ»، فـانزعج السُـلطان وقـال لِوُزرائـه: «اعْلَمُـوا أَنَّ وَلَـدِي هَـذَا هُـوَ الَّـذِي يَمْلِـكُ هَـذَا التَّخْـت»، ثُـمَّ ختنهمـا وأرسـلهما إلـى والـدهما. حُكـم طربـزون منظـرٌ لِمدينـة طربـزون مـن تلَّـة «بوزديَّـه». شـكَّلت هـذه المدينـة مقـر حُكـم الشـاهزاده سـليم لِتسـعةٍ وعشرين سنة.

وفـي هـذه السـنة تُـوفي السُـلطان مُحمَّـد وخلفـه ابنـه بايزيـد، فنقـل ولـده عبـد الله مـن طربـزون ووَلَّاه مغنيسـية، وجعـل مكانـه أخـوه سـليم، فبقـي فـي منصـبه هـذا تسـعٌ وعشـرون سـنة (٨٨٦ - ٩١٥هـ / ١٤٨١ - ١٥١٠م). خـلال ولايتـه، تلقَّـى الشـاهزاده اليـافع دُرُوسًـا فـي العُلُـوم الشـرعيَّة والسياسـيَّة والآداب علـى يـد المـولى عبـد الحلـيم بـن علـي القسـطمونئي، الشـهير بـ«مولانـا عبـد الحلـيم أفنـدي»، ولاحـظ امتعـاض أُمـراء قبائـل التُركُمـان الأناضـوليين مـن الإدارة المركزيَّـة الشـديدة فـي الدولـة العُثمانيَّـة، التـي أفقـدتهم امتيـازاتهم وحـوَّلتهم إلـى رعايـا عـاديين، فصـاروا تحـت إمـرة المُوظَّـف الصـغير الـذي يُرسـله السُـلطان مـن إسـلامبول، ولـم يعـد بإمكـانهم جمـع الضـرائب ولا حشـد الجُنُـود كمـا كـان الحـال فـي السـابق. فلـم يجـد هـؤلاء مُشـكلةً فـي التشـيُّع والالتحـاق بِالدولـة الصـفويَّة بِقيـادة الشـاه إسـماعيل بـن حيـدر طالمـا حفـظ لهـم امتيـازات الإمـارة، التـي كانـت بِالنسـبة إلـيهم أهـم مـن مسـألة المـذهب. فصـاروا يـذهبون إلـى إيـران دون تـردُّد ويُعلنـون ولائهـم لِلشـاه، فيُصـبحون قادةً في جُيُوشه وتستمر امتيازاتهم كُلِّها.

أدرك سـليم بِنظرتـه الثاقبـة مـدى الخطـر الـذي يُمثِّلـه الصـفويُّون علـى الدولـة العُثمانيَّـة، وأنَّهـم يسـتغلُّون التُركُمـان الميَّـالين لِلتشـيُّع فـي سـبيل خـرق الدولـة، فقلـق علـى مُسـتقبلها، لا سـيَّما وأنَّ والـده السُـلطان بايزيـد كـان يُسـالم الشـاه إسـماعيل ويتجنَّـب الـدُخُول معـهُ فـي حـربٍ كبيـرة. لِـذلك رأى أن يعمـل علـى تمتـين صـلة القبائـل التُركُمانيَّـة بِالسـلطنة، فجنَّـد مـنهم جُمُوعًـا غفيـرة وغـزا بهـم الكـرج ثـلاث مـرَّات دون الرُجُـوع إلـى والـده السُـلطان فـي إسـلامبول، وفـتح خـلال غزواتـه هـذه عـدَّة مُـدُن وضـمَّها إلـى الدولـة العُثمانيَّـة، مثـل قـارص وأرضروم وأرتوين وآخسخة وآخلكلك.

ولـم يُـؤدِّ سـليم خُمـس غنـائم غزواتـه هـذه إلـى بيـت المـال، بـل منحهـا إلـى المُجاهـدين التُركُمـان الـذين رافقـوه وقـاتلوا معـه، فـي مُحاولـةٍ لِاسـتقطابهم إلـى جانـب السـلطنة والحيلولـة دون تعلُّقهـم بِالصـفويين. وكـان سـليم يُـبغضُ الصـفويين وزعـيمهم الشـاه إسـماعيل بُغضًـا شـديدًا بِسـبب تطـرُّفهم المـذهبي واضـطهادهم أهـل السُـنَّة والجماعـة فـي البـلاد الخاضـعة لهـم، فلـم يتـوانَ عـن قتـالهم مـرَّةٍ بعـد أُخـرى حتَّـى أخـذ مـن أيـديهم عـدَّة بـلاد هـي: أرزنجـان وبـايبُرد وكمـاخ وإيسـبر وكُمُشـخانة وجمكـازاد ومـا جاورهـا وأضـافها إلـى ولايتـه. فمـا كـان مـن الشـاه إلَّا أن أرسـل أخـاه إبـراهيم لِاسـترجاع هـذه المُـدن، باعتبـار أنَّهـا مـن مُخلَّفـات الدولـة الآق قويونلويَّـة التـي قامـت الدولـة الصـفويَّة علـى أنقاضـها، وكونـه هـو وريـث الآق قويونلـويين مـن جهـة أنَّـه حفيـد أميـرهم الشـهير أوزون حسـن، فلـه الحـق وحـده فـي تلـك المنـاطق. ردَّ سـليم علـى هـذا بِـأن سـار لِقتـال الصـفويين مُصـطحبًا معـه ابنـه الوحيـد الشـاهزاده سُـليمان البـالغ مـن العُمـر ١٢ ربيعًـا، فقـابلهم قُـرب أرزنجـان وانتصـر علـيهم وتمكَّـن مـن أسـر إبـراهيم شـقيق الشـاه، مُكتسـبًا بِـذلك اعتبـارًا كبيـرًا مـن الأهـالي السُـنيين

ومن قادة الجيش، حتَّى وصل الأمر بِبعضهم أن لحَّن فيه قصيدةً شعبيَّة مطلعُها: «سر سُلطاني سر، فاليوم يومك».سارع الشاه، بعد أن علم بأسر أخيه، إلى إرسال كتاب احتجاج إلى السُلطان بايزيد مُذكِّرًا إيَّاه بِالصداقة الصفويَّة العُثمانيَّة، فكان ذلك ما يحتاجه الوُزراء المُوالين لِلشاهزاده أحمد، والذين يدعمون وُصوله إلى سُدَّة العرش، لِتأليب السُلطان على ابنه سليم، إذ كانوا مُتوهمين منه لِتهوُّره وسوء خُلُقه وشدَّة سياسته وبطشه، فنصحوا السُلطان أن يكبح جماحه كي لا يُدخل الدولة العُثمانيَّة في حربٍ شاملةٍ مع الصفويين الذين يُسالمونها، وادَّعى هؤلاء بِأنَّ سليم يُخالف أوامر وإرادة السُلطان، ويستبد بِالأمر، فيغزو بلاد الكرج بِلا إذنٍ من والده، وتمادوا حينما صنعوا كُتُبًا مُزوَّرةً نسبوها إلى الشاهزاده المذكور، تتضمَّنُ تهديداتٍ وتنبيهاتٍ إلى الوزراء. وأخذوا يُعدِّدون محاسن الشاهزاده أحمد ومعايب أخوه سليم، فتحرَّك غضب السُلطان على ابنه الأصغر، وكتب إليه ينهاه عن قتال الصفويين وغزو الكرج، ويأمره بِمُحافظة إيالته فقط وإطلاق سراح أخ الشاه وإخلاء جميع المُدن التي استولى عليها وإعادتها لِلصفويين، وهدَّده بِالعقاب فيما لو لم يمتثل لِلأوامر، وفي الوقت نفسه ثبَّت ابنه أحمد في ولاية العهد. جديرٌ بِالذكر أنَّ السُلطان بايزيد كان آنذاك يُعاني من أمراضٍ شتَّى، حتَّى وُصف بِأنَّهُ صار «مثل صبيٍّ بِتعاقب الأمراض وكِبر السن، فيُقلِّبهُ الوُزراء والنُدماء كيف شاؤوا وإلى حيثُ أرادوا». استجاب سليم لِرغبات أبيه، لكنَّهُ أعلن استيائه بِوُضُوح قائلًا أنَّ هذا العمل يعني انعدام الشرف، وليس لِلشاه حقٌّ في ما يدَّعيه، فأرزنجان على سبيل المِثال كان السُلطان بايزيد الأوَّل هو من ضمَّها إلى الدولة العُثمانيَّة، وكانت ستبقى من جُملة بلادها لولا اجتياح تيمورلنك لِلأناضول. ولم تلقَ أوامر السُلطان ارتياحًا سواء لدى الجيش أو أهالي الأناضول أيضًا. بناءً على ما سلف، اطمأنَّ الشاهزاده أحمد إلى موقف والده من أخيه الأصغر، وسعى إلى إبعاد أخيه الآخر قورقود وابن أخيه سُليمان عن دار السلطنة لِيصفى لهُ المُلك، فالتمس من السُلطان أن ينقُل سُليمان بن سليم من سنجق بولي وقورقود من سنجق مغنيسية لِقُربهما من العاصمة، فأجابهُ بايزيد رعايةً لِخاطره وعيَّن سُليمانًا على سنجق كفَّة بِالقرم وقورقود على سنجق تكَّة.الاضطرابات أواخر عهد السُلطان بايزيدكان لِلسُلطان بايزيد ثمانية أبناء: أسنُّهم هو عبد الله، ثُمَّ شاهنشاه فأحمد وعلمشاه وقورقود وسليم ومحمود ومُحمَّد. تُوفيّ أغلب هؤلاء الأبناء في حياة والدهم، ولم يُكتب البقاء - حتَّى ذلك الوقت - إلَّا لِشاهنهشاه وأحمد وقورقود وسليم، وقد فرَّقهم والدهم وعيَّن كُلُّ واحدٍ منهم على بلدٍ مُختلف خشية وُقُوع الشقاق بينهم نظرًا لِاختلافهم في الآراء والمشارب. فكان كبيرهم أحمد محبوبًا لدى الأعيان والأُمراء لِحُسن خُلُقه ولين جانبه، وكان الصدر الأعظم علي باشا الخادم مُخلصًا له. وكان قورقود مُشتغلًا بِالعُلُوم والآداب ومُجالسة العُلماء، وكان هو نفسه عالمًا كبيرًا وشاعرًا وخطَّاطًا وموسيقارًا ومُلحِّنًا، لهُ مُؤلَّفاتٌ بِالعربيَّة والتُركيَّة في عُلُوم الفقه والكلام والأخلاق والتصوُّف، ولِذا كان الجيش يمقته لِعدم ميله إلى الحرب، أضف إلى ذلك أنَّ ولديه الذُكُور توفيا وهُما طفلان ممَّا تركه بلا وريث وأضعف حقَّ ادعائه بِالعرش. أمَّا سليم فكان مُحبًّا لِلحرب والغزو والجهاد كما أُسلف، لذا كان محبوبًا لدى الجُند عُمومًا والإنكشاريَّة خُصُوصًا، ممَّا قوَّى موقفه فيما لو طالب بِالعرش.

ولمَّا كان أعيان البلاد من الساسة والقادة والأُمراء أصحاب الغايات والمصالح، المُناصرين لِلشاهزاده أحمد، يُدركون مدى خُطُورة وُصُول شخصٍ كسليم القوي إلى سُدَّة السلطنة، فإنَّهم أوغروا صدر والده عليه كما أُسلف، ليُقللوا من حُظوظه في تولِّي أُمُور البلاد والعباد، وصوَّروا أحمد على أنَّهُ المُرشَّح الأمثل لِخلافة أبيه، في حين استُبعد قورقود تمامًا.

وإلى جانب أبناء بايزيد، كان هُناك أحفاده الذين تولَّى كُلٌ منهم سُنجقًا خاصًّا به. وأبرز هؤلاء كان سُليمان بن سليم، الذي نقله جدُّه السُلطان من سنجق بولي إلى سنجق كفَّة بالقرم بناءً على طلب عمِّه أحمد، وولَّى مكانه ابن الأخير المدعو مُراد. وكان هُناك أيضًا مُحمَّدشاه بن شاهنشاه (تولَّى سنجق القرمان لاحقًا بعد وفاة أبيه)، وعُثمان بن علمشاه والي جنقرة، وأورخان بن محمود والي قسطموني، وموسى بن محمود والي سينوپ. بِالإضافة إلى هؤلاء، كان لِمحمود ولدٌ ثالث يُدعى «أميرخان» لم يُولَّى أي منصب كونه كان ما يزال طفلًا.

امتعض قورقود عندما نقله والده من سنجق مغنيسية إلى تكَّة، ورأى في ذلك مُحاباةً لِأخيه الأكبر على حسابه، فالتمس من السُلطان أن يُعاد إلى سُنجقه، لكنَّ بايزيد لم يُجبه إلى طلبه، فتألَّم لِذلك وتغيَّر على أبيه، وخرج على رأس ١٣٧ شخصًا من خاصَّته وركب البحر من مرفأ أنطالية وتوجَّه إلى مصر، مُعلنًا أنَّ نيَّته حج البيت الحرام، بينما قصد إلقاء الرُعب في قلب والده وتخويفه من احتمال تعامله مع المماليك، فمكث في الديار المصريَّة نحو سنة.

وفي أثناء غياب قورقود في مصر، أدرك شقيقه سليم موقف حاشية والده منه وأنَّهم زوَّروا كُتُبًا ونسبوها إليه، فسعى إلى تبرئة ذمَّته وجنايته أمام العتبة السُلطانيَّة، إلَّا أنَّهُ لم يجسر على الذهاب إلى إسلامبول ومُقابلة السُلطان بلا إذن، فالتمس من أبيه أن يوليه سُنجقًا من سناجق الروملِّي، فيُصبح بِذلك على مقرُبةٍ من العاصمة. لكنَّ الوزراء والحاشية حالوا دون حُصُول سليم على مطلبه، فأرسل ثانيًا وثالثًا يُطالب والده، فلم يُجبه إلى ذلك بِتأثيرٍ من وزرائه. ولمَّا حُرم سليم من سُؤله وعادت رُسلُه خائبين؛ ركب البحر مُتوجِّهًا إلى كفَّة، سنجق ولده سُليمان بِالقرم، وأقام فيها أيَّامًا، وأرسل إلى العتبة قاصدًا آخر يلتمس الإذن في الحُضُور إلى إسلامبول، فحال الوُزراء والساسة المائلون إلى الشاهزاده أحمد دون قُبُول السُلطان مُجدَّدًا وقبَّحوا عنده عُبُور سليم إلى الروملِّي، بل إنَّ الشاهزاده أحمد نفسه كتب إلى خان القرم منكلي كراي وأبلغهُ بِأنَّهُ سيشكيه إلى أبيه ويطلب عزله فيما لو عاون سليم، على أنَّ الخان المذكور لم يلتفت لِهذا التهديد لِارتباطه بِسليم عبر المُصاهرة. وأرسل السُلطان بايزيد إلى ابنه بِالقرم أحد العُلماء المُسلمين وهو المولى نور الدين صاروكرز لِينصحه ويُقنعه بِالعودة إلى سنجقه طربزون، فسار المولى المذكور وحاول نصح سليم بِالامتثال لِأمر والده، لكنَّ الأخير أصرَّ ألَّا يعود ما لم يصل إلى عتبة السُلطان، فعاد المولى ثُمَّ رجع مرَّةً أُخرى حاملًا رسالةً من بايزيد يُعلم فيها ابنه بِأن يختار سنجقًا من سناجق الأناضول فيُولِّيه عليه، فلم

يُجب ما لم يقترن ذلك بِحُضُوره إلى والده.خلال تلك الفترة، كانت بلاد الأناضول تموجُ بِنار الفتنة التي أضرمها الشيعة المُوالون لِلشاه إسماعيل، وتزعَّم الثورة أحد دُعاة الشاه المُسمَّى شاهقُلي بابا بن حسن التِكلوي (بِالفارسيَّة: شاهقُلى بابا بن حسن تكەلى)، و«شاهقُلي» اسمٌ منحوت من كلمتين: «شاه» و«قُلي» ومعناه «خادم الشاه»، أمَّا «التِكلوي» فنسبةً إلى بلاد تكَّة وأهلها من التُركمان التكَّليين. وعاث شاهقُلي وأتباعه فسادًا في الأناضول، فاعتدوا على الأهالي وخرَّبوا البلدات والقُرى، وقصدوا مدينة كوتاهية دار بكلربكيَّة الأناضول، فأحرقوها بعد أن هزموا حاميتها وقتلوا أغلبهم، بما فيهم بكلربك الأناضول قراكوز أحمد باشا. تكدَّر السُلطان بايزيد ما أن وصلته أخبار الفتنة وما جرى من إحراق كوتاهية وقتل قراكوز أحمد باشا، فاشتدَّ عليه مرضه وقوي ضعفه، وكلَّف ابنه الشاهزاده أحمد بِالقضاء على شاهقُلي وأتباعه، ثُمَّ جمع الوُزراء والأعيان وأعلمهم عزمه على تسليم السلطنة إلى ولده المذكور ما أن ينتهي من مُهمَّته، وأرسل في عقبه الصدر الأعظم علي باشا الخادم في أربعة آلاف سپاهي وألف إنكشاري لِيُعاونه في القضاء على العُصاة، كما أرسل إلى أُمراء الأناضول أن يجتمعوا عليهم بِعساكرهم. وبلغت أخبار هذه الأحداث مسامع الشاهزاده سليم في القرم، فقرَّر استغلال الوضع كي يحصل على مراده بِالقُوَّة، فشقَّ عصا الطاعة وسيَّر عدَّة سُفُن من البحر بِأثقاله ورجاله وسار هو في أصحابه وأتباعه من البر إلى صوب دار السلطنة من طريق آق كرمان. ولمَّا قرُب من سيلسترة ونزل بِخارجها، أرسل أميرها قاسم بك إلى السُلطان بايزيد يعرض الحال، فخاف الوُزراء المُخالفون من دُخُول سليم إلى العاصمة وسيطرته على الحُكم، فحرَّكوا السُلطان فورًا لِلتصدِّي له. وتقابل جيشُ بايزيد مع جيش ابنه سليم في موضعٍ يُقال له «جوقورچايري» بِقُرب أدرنة، لكنَّ أيّ قتالٍ لم يقع، إذ لمَّا رأى الشاهزاده عزم والده على القتال، أرسل إليه أحد خواصه يستعفيه ويطلب منه الرأفة، فبكى بايزيد مُتأثرًا بِالكلمات التي أرسلها ابنه، وردَّ عليه بِأنَّهُ سيمنحه ما يُرضيه سوى دُخُول إسلامبول، فالتمس سليم سنجقًا من ثُغُور الروملِّي لِيغزو من خلاله البلاد الأوروپيَّة المُجاورة، فمنحهُ السُلطان سنجق سمندريَّة أولًا، ثُمَّ أضاف إليه سناجق ڤيدين وآلاجة حصار ونيكوبُلي، وأرسل له هدايا جليلة مُرفقة بِكتاب عهدٍ على أن لا يولي عهده إلى أحدٍ من أولاده ما دام حيًّا، ويُفوِّض ذلك إلى مشيئة الله، وهدف من وراء ذلك تطييب قلب سليم وجبر خاطره عمَّا جرى كي لا يتَّسع شق الخلاف ويكبر البغض بين الإخوة، وكان ذلك في سنة ٩١٧هـ المُوافقة لِسنة ١٥١١م.

في ذلك الوقت كان علي باشا قد عبر إلى الأناضول ولقي الشاهزاده أحمد في أنقرة، فهنَّأه بِالسلطنة في خلوته، ممَّا دفع الأخير إلى بذل الأموال على مُقدَّمي الجُند لِاستمالة قُلُوبهم وضمان وُقُوفهم إلى جانبه حينما يجلس على تخت المُلك. ولم يلبث علي باشا أن عَلِم في غد ذلك اليوم بِقُدُوم سليم إلى صوب أدرنة وبِكُلّ ما جرى بينه وبين والده، فتكدَّر من ذلك الخبر، إلَّا أنَّهُ كتمه عن الشاهزاده أحمد وعن خواصه أيضًا، ثُمَّ توجَّه معه إلى دفع غائلة الشيعة.

تمكَّن العُثمانيُّون من إلحاق هزيمةٍ كُبرى بِشاهقُلي وجماعته، فقتلوا أغلبهم في بضع معارك وشتتوا البقيَّة، على أنَّ ثمن هذا الانتصار كان باهظًا، إذ قُتل الصدر الأعظم في

إحدى تلك المُواجهات. ولمَّا وصل خبر مقتله إلى الشاهزاده أحمد حزن واضطرب اضطرابًا عظيمًا وتحيَّر في أمره، فرجع إلى سنجقه أماسية ولم يعقب العُصاة لِلثأر منهم، ممَّا أثار حفيظة عسكره. وفي أثناء ذلك تُوفي الشاهزاده شاهنشاه والي القرمان، ووصل خبر وفاته إلى السُلطان بايزيد مُرفقًا بِخبر مقتل علي باشا، فزاد في ضعفه، واشتدَّت عليه الآلام والاضطرابات، فجمع الوُزراء والأعيان وشاورهم في أمر السلطنة، فأشاروا عليه بِإحضار الشاهزاده أحمد وإجلاسه على تخت السلطنة قبل تفرُّق أُمراء الروملِّي وعساكرها، واجتمعت الكلمة على ذلك. وهكذا أرسل السُلطان أولًا إلى أُمراء الروملِّي أن يحضروا إليه، فلمَّا مثلوا بين يديّه أخذ منهم البيعة لِولده واستحلفهم على طاعته، ثُمَّ أمر الوُزراء بِأن يستدعوا الشاهزاده المذكور، فأرسلوا إليه يستعجلونه إلى إسلامبول. وعلم الشاهزاده سليم بِاتفاق الوُزراء والأعيان على تنصيب أخيه على عرش آل عُثمان عن طريق أحد أعوانه المُخلصين العامل في خدمة والده، فتوجَّه سريعًا إلى صوب العاصمة، وقابل والده في وادي «أوغروش» بِقُرب چورلي، فأرسل أحدًا من خواصه إلى أبيه لِلسُؤال عن سبب نقض العهد والإصغاء إلى أقوال الوُزراء والأعيان أصحاب الأغراض الخبيثة، لكنَّ هؤلاء حالوا دون دُخُول الرسول على السُلطان، وعرضوا إلى الأخير بِأنَّ ولده سليم قد قصده في ثلاثين ألف مُقاتل وهو يعقد العزم على خلعه من السلطنة والجُلُوس مكانه، وحثُّوه على قتاله. وكان عند السُلطان حينئذٍ أربعون ألف مُقاتل، فهجموا على الشاهزاده سليم وعسكره، فاقتتلوا شديدًا حتَّى تشتَّت جُند سليم، وهرب إلى صوب بحر البنطس (الأسود) في جمعٍ قليلٍ من أتباعه، فتبعهُ جمعٌ من عسكر والده وأدركوه، ولم يحل بينه وبين الأسر سوى أحد خواصه المدعو فرحات بك، فأشغل جُند بايزيد في حين أسرع سليم السير على صهوة جواده «قره‌بولوط»، أي «السحاب الأسود»، حتَّى وصل ساحل البحر المذكور، واجتمع عليه ثلاثة آلاف جُنديٍّ من رجاله، فأبحر بهم إلى كفَّة سنجق والده سُليمان، ودخلها خائبًا محزونًا.تنازُل بايزيد عن المُلك لِصالح ابنه سليم

بعد انكسار الشاهزاده سليم، عاد السُلطان إلى إسلامبول وجمع الوُزراء لِلمُشاورة ثانيًا، فأشاروا عليه باستعجال الشاهزاده أحمد إلى العاصمة لِتسليمه السُلطة، فوافقهم وأمر بأن يُرسلوا إليه أن يأتي على الفور. وما أن وصل الخبر إلى الشاهزاده المذكور حتَّى نهض من أماسية على الفور وركب فرسه وجدَّ في السير دون أن ينم ليلًا ولا نهارًا حتَّى وصل إلى مالدپَّة قُرب أُسكُدار، وأرسل إلى السُلطان يستأذنه في العُبُور إليه صباحًا، فأذن له. واقترح أتباع الشاهزاده أحمد، من الوُزراء والساسة، استمالة قُلُوب أُمراء الروملِّي وقادة الجُند بِبذل الأموال لهم، وعرضوا ذلك على السُلطان، فوافقهم، والحقيقة أنَّهُ كان قد أصبح على درجةٍ من المرض والضعف لا يستطيع معها تدبير أي أمرٍ بِمُفرده، فأصبح وُزرائه هُم الحاكمون الفعليُّون لِلدولة.